الإثنوغرافيا والملاحظة بالمشاركة

ديبي ألسوب، هانا ألين، هيلين كلير، إيان كوك، هايلي راكستر، كريستينا أبتون، وأليس ويليامز

الفصل الثالث عشر

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

كتب هذا الفصل ست طالبات جامعيات سابقات (ديبي، هانا، هيلين، هايلي، كريستينا، وأليس) ومحاضرهن (إيان) . وهو مقدمة للبحث الإثنوغرافي ومنهجه الأساسي المتمثل في الملاحظة بالمشاركة . عرّفنا إيان على هذا في وحدة مناهج البحث في الإثنوغرافيا والملاحظة بالمشاركة في السنة الثانية . لم نسمع به من قبل . أخبرنا أنه يتضمن "التواجد" والمشاركة ، ولكن أيضًا ملاحظة ما يحدث في حياة الآخرين . اخترنا جميعًا استخدامه في بحث "أطروحة" (البكالوريوس) الذي أجريناه خلال العطلة الصيفية قبل عامنا الدراسي الأخير . وهكذا أصبحنا خبراء في استخدامه في مجموعة متنوعة من المشاريع.

درست ديبي ثقافة التدقيق في شركة محاسبة دولية، وكيف تأثر ذلك ببعض التشريعات الجديدة . أرادت هانا فهم الذعر الأخلاقي في المملكة المتحدة بشأن سمنة الأطفال . سافرت هيلين إلى كمبوديا لمحاولة مقابلة عمال المصانع الذين صنعوا أحد قمصانها . أرادت هايلي معرفة ما فُقد وما اكتسب في النسخة الهوليودية الجديدة من فيلم رعب ياباني . أرادت كريستينا معرفة كيف اندمج عمال المصانع المهاجرون في مسقط رأسها مع السكان المحليين . وحاولت أليس معرفة سبب ارتداء الفتيات الصغيرات أزياءً تُعد ، بالنسبة للكثيرات ، استفزازية بشكل مثير للقلق . نكتب هذا الفصل معًا لأن "خبرتنا" المُشتركة قد تُساعد الباحثين المبتدئين على فهم ما يُمكن أن تتضمنه هذه الطريقة من المرة الأولى .

فبدلًا من تقديم فصول مراجعة الأدبيات والرسوم التوضيحية التي يكتبها الأكاديميون المُخضرمون عادةً ، سنتحدث عن تجاربنا الشخصية في التعامل مع الإثنوغرافيا والملاحظة بالمشاركة وتطبيقها . يستند مُعظم هذا الفصل إلى نقاشٍ استمر ساعتين أجريناه مع إيان حول هذا الموضوع . نريد أن نُعطي انطباعًا بالعمل الجاد والإبداع والحماس المُتوتر الذي جعله مُفيدًا للغاية بالنسبة لنا كطلاب . نود أن يُتيح لكم هذا الفصل تجربةَ العمل ، وتخيّل نوع البحث الذي يُمكنكم إجراؤه باستخدام هذه الطريقة ، وأنواع المشكلات التي قد تضطرون إلى التخطيط لها والتعامل معها . سيتعين عليكم قراءة أكثر بكثير من هذا الفصل لتقدير جوهره . هذه مُجرد بداية .

أليس تدوّن ملاحظات محاضرات غير عادية

نبدأ بمقتطف من واجبات أليس الدراسية لتلك الوحدة الدراسية في السنة الثانية . استخدمت أليس الملاحظة بالمشاركة لوصف تجربة حضور محاضرة جغرافية في الجامعة . كان عليها أن تفترض أن قارئها لم يسبق له حضور جامعة ، ناهيك عن محاضرة . يُمهّد المقتطف أدناه المشهد ويصف الدقائق الثماني الأولى (مقارنةً بخمسة إلى عشرة أسابيع من العمل في بحث أطروحتنا !). يُفترض أن يسمح سجل الملاحظة بالمشاركة الجيد للقارئ بتخيل نفسه بوضوح في مكان المؤلف . شاهد كيف يعمل هذا معك . من المعتاد تعديل سجلات الملاحظة بالمشاركة المنشورة لإخفاء هويات الأشخاص قيد الدراسة . لذلك ، هنا ، تم تعديل جميع الأسماء الصحيحة والتواريخ وغيرها من المعلومات التعريفية.

هذا جزء من أخلاقيات البحث بالملاحظة بالمشاركة.

محاضرة اليوم، بتاريخ 11 فبراير 2005، من الساعة الثانية إلى الثالثة ظهرًا ، كانت مخصصة لمادة الجغرافيا للسنة الثانية . تقع قاعة المحاضرات المستخدمة في مبنى الهندسة الميكانيكية بالجامعة . يضم هذا المبنى العديد من قاعات المحاضرات بهذا الحجم ، وتستخدمه العديد من الأقسام لإلقاء محاضرات واسعة النطاق . يقع المبنى على أحد أطراف الحرم الجامعي ، وهو مبني من الطوب ، ولكن ليس بنفس فخامة قاعات الحرم الجامعي المركزية . يتميز هذا المبنى بسمعة سيئة ، فهو غير مريح ، وقديم ، وذو رائحة كريهة ، ويُنصح عمومًا باستخدامه فقط من قِبل "الطلاب المملين الذين يدرسون الهندسة الميكانيكية" ! تلقى طلاب الجغرافيا هذا العام محاضرات في هذه القاعة منذ سنتهم الأولى ، وهم على دراية بموقعها وأجوائها .

يحتوي المسرح على ما يقارب 30 صفًا من المقاعد والمكاتب موزعة على ثلاثة أقسام ، مع مسارين من السلالم بعرض مترين يرتفعان من مستوى الأرضية إلى قمة هذه القاعة المصممة على طراز "المدرج" . صُنعت المقاعد والمكاتب من خشب ثقيل "برتقالي اللون" ، وقد غطتها رسومات غرافيتي كثيفة وخدوش ناتجة عن سنوات من الاستخدام . الخشب لزج قليلًا عند اللمس ، تمامًا كما هو الحال مع الخشب القديم المطلي بالورنيش بعدة طبقات كثيرة . تحتوي المقاعد على وسائد بلاستيكية عنابية اللون ، موزعة على أقسام بطول مترين . تُثبت هذه الوسائد على المقعد بدبابيس ذهبية قديمة . لا تلتقي الوسائد ، وتفصل بينها فجوات 15 سم ، مما يجعل الطلاب يجلسون في مجموعات من ثلاثة طلاب تقريبًا على كل وسادة . بعض المقاعد تفتقد الوسائد ، لذا يجلس الطلاب بدلًا منها على مقاعد صلبة وغير مريحة ذات ظهر مرتفع .

في أرضية المقاعد والدرجات ، يوجد ممر يؤدي إلى المسرح ومكتب كبير عريض طوله أربعة أمتار مصنوع من نفس الخشب الثقيل ذي اللون البرتقالي . على يمين المكتب (حيث أجلس) بالقرب من الباب ، يوجد جهاز كمبيوتر ولوحة مفاتيح وفأرة متصلة بجهاز عرض معلق من السقف في منتصف الغرفة . ينقل جهاز العرض صور "باوربوينت" من الكمبيوتر إلى شاشة عرض بمقاس ستة أمتار × أربعة أمتار على الحائط أمامي . أسفل هذه الشاشة ، خلف المكتب ، توجد ألواح خضراء كبيرة منزلقة للرسم بالطباشير ، ولكنها نادرًا ما تُستخدم . يمتد الجدار الأيسر للمسرح من السقف إلى منتصفه تقريبًا . النوافذ مغطاة دائمًا بستائر خضراء سميكة وثقيلة تحجب الضوء . تظهر فجوات صغيرة عند التقاء الستائر، ويمكن رؤية أحد الممرات المؤدية إلى خارج الحرم الجامعي . تلتقي الستائر والنوافذ بالصف الأوسط من المقاعد، وتشكل لوحة تمتد إلى مقدمة الغرفة .

وصلتُ مبكرًا لهذه المحاضرة وانتظرتُ في الخارج ، متابعًا رسائل الأصدقاء النصية ، أتساءل إن كنتُ ذاهبًا ، وإن كان عليهم مقابلتي هناك . أجبتُهم بالقول المعتاد : "نعم ، سأذهب . نعم ، سأقابلك في الخارج" . لكن هذا الأسبوع سيكون مختلفًا بعض الشيء . جو ، صديقتي التي أجلس معها عادةً ، لن تحضر . لذا ، كنتُ أنتظر صديقًا آخر، غاريث . أخبرتُ جو أنني سأُجري تجربة الملاحظة بالمشاركة في هذه المحاضرة . سأُراقب الأفعال وردود الأفعال والعمليات التي جرت في هذه المحاضرة المملة عادةً - والتي غالبًا ما يغادر فيها العديد من الطلاب في منتصف الاستراحة - وتمنيت ألا يكون هذا هو سبب غيابها . وصل غاريث وصديق آخر، ستيف ، حوالي الساعة 1:55، وعلقا على الفور: "يا إلهي ، لقد وصلتَ مبكرًا ! أليس هذا حماسًا ؟" . كان رد فعلي الأول هو الصدمة ، "هل اكتشفوا ما أفعله بالفعل ؟" تجاهلتُ التعليق بسرعة بقول "اصمت !" ودخلنا .

كان المحاضر يُجهّز في المقدمة . كان يُعبث بجهاز الكمبيوتر، فتخيلتُ أنه يُحضّر عرضًا تقديميًا على PowerPoint . كانت القاعة ممتلئة بالفعل . كانت هذه مفاجأة بسبب تجربة "الخروج" الجماعية

الأسبوع الماضي . كان المكان صاخبًا للغاية ، مع ثرثرة الناس ، وصعود الدرج ، والجلوس ، وخلع المعاطف ، وإخراج الأوراق والأقلام ، وما إلى ذلك . قُدتُنا نحن الثلاثة إلى مكاننا المعتاد ، ثلاثة صفوف من الخلف على الجانب الأيسر . وبينما كنتُ أصعد الدرج ، وجدتُ نفسي أتجنب التواصل البصري . كدتُ أشعر أنهم سيعرفون ما أفعله بالنظر إلى الناس . جلستُ بجانب صديقي بن . ثم جلس غاريث بجانبي وستيف بجانبه . شعرتُ ببعض عدم الارتياح ، وقليل من الحرارة والارتباك من المشي هنا ، ومن حرارة الغرفة الشديدة . أخرجتُ ورقتي وحافظة أقلام ي. طلب غاريث استعارة بعض الورق وقلم بينما بدأ المحاضر بالكلام .

كانت الساعة الآن 2:02 ظهرًا . عند هذه النقطة ، بدأتُ ألاحظ بعض الأمور . كنتُ قلقًا . ماذا أكتب ؟ إلى أين أنتمي ؟ هل أصف ما أشعر به أم ما أراه ؟ وهل عليّ تجاهل المحاضر أم الانتباه إليه خشية أن يؤثر ما يقوله على الطلاب ؟ لفت انتباهي المحاضر . شرح لي كيف أن هذه المحاضرة ستستغرق ساعة ، وعرض الشريحة الأولى على الشاشة . قال غاريث ساخرًا وهو ينحني : "موضوع ممتع آخر" . تخيلتُ أن الأصوات المكتومة في أرجاء المسرح تُشير إلى نفس الحقيقة ، إلى جانب الحماس الطفيف لكونها ساعةً واحدةً فقط . تبع ذلك السعال والهمسات إذ بدا أن ميكروفون المحاضر لا يعمل . لم يُلاحظ ذلك ، واستمر ببساطة في شرح الشرائح الأولى .

كان تعليق غاريث الاتي : "رائع! لا نستطيع حتى سماعه" . انحنى مرةً أخرى ، وهذه المرة ، نظر إلى ملاحظاتي . أدركتُ فجأةً أنني لم أكن أُدوّن ملاحظات المحاضرة ، ولا بد أنه رأى اسمه على دفتري . أمسك قلمي بسرعة وقرأ الملاحظات التي دوّنتها . "ماذا تفعل ؟" "لا شيء . " "بلى ، أنت كذلك . هذا أسلوبك في الملاحظة بالمشاركة ، أليس كذلك ؟" "لا. " حاولتُ مواصلة القتال . "بلى، هو كذلك ! هيا ، سأساعدك . سيكون الأمر مضحكًا. " استسلمتُ وشرحتُ له بسرعة ما كنتُ أفعله ، وأنه يجب عليه أن يصمت ويتظاهر بأنه لا يعرف . شعرتُ بانزعاج شديد لأنه اكتشف الأمر، بل وأكثر من ذلك لأنني اضطررتُ للكشف عن نفسي ، فحاولتُ استعادة تركيزي .

مع استمرار مشاكل الميكروفون ، نظرتُ حولي إلى الطلاب ، وهم يُدوّنون الشرائح بحماس . بدا لي أنني منجذبٌ إلى معارفي ، مع ذلك : كان العديد من الأصدقاء والزملاء يجلسون في أماكن مختلفة في الغرفة . بينما كنت أفعل ذلك ، لفتت أنظار بعضهم دون قصد ، فهتفوا بكلمة "مرحبًا" . هذا جعلني أشعر بضعف أكبر بعد اكتشاف غاريث . شعرتُ ببعض القلق لأنني كنتُ أُركز فقط على من أعرفهم ، فلفت انتباهي الباب . كان صديقي سي قد وصل متأخرًا . كانت الساعة الآن حوالي الثانية وثماني دقائق . ضجت الغرفة عندما اقتحم سي ، طويل القامة ، حليق الرأس ، حاملًا حقيبة رياضية كبيرة . عرفتُ أنه كان يلعب تنس الريشة .

بدأ الناس يتجاذبون أطراف الحديث . سمعتُ ضحكات خفيفة وحركة . بدت كلمة غاريث "أسطورة !" وكأنها تُلخص شعور الكثيرين تجاه تأخر سي المستمر عن هذه المحاضرة . هذا جعلني أضحك قليلًا . ثم ثار تساؤلي حول ما إذا كنتُ أراقب فقط أم أنني أشارك في هذا الموقف بالفعل . يبدأ إيان محاضرته عن "الإثنوغرافيا والملاحظة بالمشاركة" . لم تكتب أليس هذه المحاضرة مباشرةً في قاعة المحاضرات . عادةً ما تبدأ سرديات الملاحظة بالمشاركة كـ"ملاحظات تمهيدية" : معلومات مُختصرة ، واقتباسات رئيسية مكتوبة حرفيًا ، وتذكيرات بأمور للتوسع فيها لاحقًا . هذه هي اللبنات الأساسية للسرد التفصيلي الذي يُكتب في مكان آخر لاحقًا خلال اليوم ، بينما ما تزال التجربة حاضرة .

بيانات الملاحظة بالمشاركة هي نصوص إبداعية مبنية على ما تراه وتسمعه وتشعر به في ظل ظروف محددة ، وغالبًا ما تكون غير متوقعة . هذه البيانات ليست "مُجمعة" . تستغرق كتابتها ساعات . وهي مُعقدة . هذا ما كانت أليس تكتشفه . قدّم إيان هذا التطبيق العملي في محاضرة (مملة) . كانت هذه مُقدمتنا للملاحظة بالمشاركة ، وكيفية القيام بها "بشكل صحيح" . قد تجد هذا مفيدًا . عادةً ما أضع أسئلة على الشاشة

، ثم أجيب عنها، وأطرح المزيد ، ثم ننطلق . في هذه المحاضرة ، سألت الشريحة الأولى "ما هي الإثنوغرافيا ؟" أجبت : "بينما تعني "الجغرافيا" "الأرض - الكتابة" ، فإن "الإثنوغرافيا" تعني "الناس - الكتابة" . وقد استخدمها علماء الأنثروبولوجيا والجغرافيون على مدى قرن على الأقل . ومنهجيتها الأساسية هي "الملاحظة بالمشاركة" . ما هي الملاحظة بالمشاركة ؟ "إنها بحث يتضمن "التواجد" و"وضع الآخرين في مكانهم" ، قدر الإمكان . ويتضمن المشاركة في الحياة الاجتماعية ومراقبتها، ونقل ذلك للآخرين بشكل رئيسي من خلال الكتابة" . كيف تبدو هذه الكتابة ؟

يقترح كلوك وآخرون (2004: 200-4) أنه لإعطاء شخص غريب إحساسًا واضحًا بالتواجد في مكان ما ، عليك تضمين ست "طبقات وصف" في ملاحظاتك الخاصة بالملاحظة المشاركة. دعنا نستعرضها بإيجاز .

الطبقة الأولى: حدد موقعك الإثنوغرافي . "أين في العالم أجريت بحثك ؟ أي بلد ، منطقة ، مدينة ، حي ، شارع ، مبنى وكيف يمكن وصفها ؟"

الطبقة الثانية: صف المساحة المادية لذلك المكان . "كيف تم تصميم ذلك المكان الذي عملت فيه؟ ما أبعاده؟ مما يتكون؟ ما هو جوه؟"

الطبقة الثالثة: صف تفاعلات الآخرين في ذلك المكان . "من كان هناك ، وأين ، في المكان الذي وصفته؟ ماذا كانوا يفعلون ؟ كيف تطورت تفاعلاتهم؟"

الطبقة الرابعة: صف مشاركتك في ذلك المكان . "ماذا كنت تفعل في ذلك البيئة؟ ما كان دورك في تلك التفاعلات ؟ إلى أي مدى شاركتَ أيضًا فيما حدث؟ "

الطبقة الخامسة: صف تأملاتك في عملية البحث . "الملاحظة بالمشاركة غير متوقعة تمامًا. لن تشعر أبدًا بالسيطرة الكاملة على كيفية تطور بحثك وتغيره . لذلك عليك هنا كتابة ملاحظات لتتبع هذه العملية ، لاستعادة تركيزك واتجاهك أو تغييرهما ."

الطبقة السادسة: صف تأملاتك الذاتية . "يجد معظم الباحثين أن الملاحظة بالمشاركة مرهقة للغاية ، ويكتبون صفحات عديدة من الملاحظات (إلى جانب الرسائل ورسائل البريد الإلكتروني للأصدقاء والعائلة) للتنفيس عن غضبهم .

أول ملاحظة مشاركة قرأناها : اتبعت أليس هذه التعليمات بدقة في دراستها . الطبقة الأولى تتبعها الطبقة الثانية . ولكن بعد ذلك ، اختلطت الطبقات الأخرى . هذا ليس بالأمر الغريب . الملاحظة المشاركة ليست من الطرق التي يُمكن تنفيذها تمامًا كما هو مُخطط له . بالطبع ، يجب التخطيط لها وقراءة عنها كمنهجية . لكننا لا ننصحك بالقيام بذلك أولًا . بدأنا بقراءة بعض نتائج أبحاث الملاحظة المشاركة . أعطانا إيان قائمة بأطروحات جامعية سابقة لقراءتها . بعد عام ، وبعد أن سلمنا أطروحتنا الخاصة ، تحدثنا عن كيف ألهمتنا.

ديبي : عندما تُخرج واحدة ، تُفكر: "يا إلهي! هذه أطروحة أكاديمية . سيستغرق قراءتها وقتًا طويلًا" . لكنني قرأتُ كتابًا عن فهم الأطفال لكلمات أغاني إمينيم ، وكان مثيرًا للقراءة (جريفيثس 2002، 2003).

كريستينا : قرأتُ كتابًا عن العمالة المهاجرة في الزراعة البريطانية (كروك 2005) . كان سهل القراءة للغاية ، وقد كتبته لتتمكن من تجربة حياة هؤلاء العمال الزراعيين . يمكنك فعل ذلك حقًا . ولا أعتقد أنني أدركتُ كيفية تطبيق الملاحظة بالمشاركة إلا بعد قراءتي لهذا الكتاب . هيلين: كان الكتاب الذي قرأته عن أشخاص في سريلانكا وإنجلترا ارتبطت حياتهم بتجارة الشاي . كان مذهلًا (راثميل 2003). كان واقعيًا جدًا ، قراءة قصص الأشخاص الذين زارتهم . يمكنك تخيل وجودك هناك . لقد أخافني ذلك كثيرًا ، في الواقع . فكرتُ : "هل يُمكنني فعل هذا ؟" "هل يُمكنني الذهاب إلى مكان ما والقيام بهذا ؟"

"لا يُمكنك التغلب على الخبرة"...

بعد قراءة هذه الرسائل ، أردنا أن نفعل الشيء نفسه بأنفسنا ، بمواضيع تُهمنا ، في بيئات مُيسّرة نسبيًا . عادت أليس وهانا إلى مدارسهما القديمة . حصلت ديبي بالفعل على تدريب داخلي في شركة المحاسبة تلك ، وعملت كريستينا في ذلك المصنع من قبل . كانت هيلين ستذهب بالفعل إلى كمبوديا للقيام بعمل تطوعي . وكان لدى هايلي جهاز كمبيوتر واتصال إنترنت عريض النطاق . لقد جربنا طرق بحث أخرى في تلك الوحدة الدراسية في السنة الثانية - وعلى الرغم من أنها لم تكن مُناسبة للجميع - إلا أن هذه كانت الطريقة التي أعجبتنا أكثر.

كريستينا : لا أعتقد أنه يُمكن التغلب على الخبرة فيما تتحدثين عنه . كان بإمكاني إجراء مقابلات مع مهاجرين وعمال مصانع آخرين . كان بإمكاني أن أقول : "حسنًا ، أنا أعيش في المنطقة ، وقال فلان وفلان ذلك ، وقالوا ذلك ، والناس في المنطقة يفكرون بهذا الشكل ." وكان بإمكاني أن أستنتج : "هذا ما يفكر فيه سكان القرية . " ولكن ، لم يكن ليُصوّر الوضع الحقيقي . **إن الأشخاص والتجارب هي الأهم** .

أليس: لو أجرينا استطلاعًا أو استبيانًا ، لما شعرنا بأي مشاعر تجاه هؤلاء الأشخاص . لكنكِ بجانبهم في غرف نومهم ، في مقصف مدرستهم ، في مصنعهم ، أينما كنتِ . أنتِ جزء من حياتهم . لذا ، أنتِ ترى لماذا يختارون تلك القميص من توب شوب ، أو لماذا لا يريدون ارتدائه لأنهم يبدون سمينين فيه . **لأنكِ معهم ، أنتِ تفهمين**.

ديبي: أنتِ تتواصلين مع الناس . تُكوّنين صداقات . كان الأشخاص الذين عملت معهم شغوفين جدًا بهذا التشريع وكيف غيّر تجاربهم العملية بشكل كبير . **هذا ما خلق شغفًا لديّ** .

إيان: هل شعرتِ بهذا الشغف أيضًا يا هايلي ، وأنتِ تُجرين بحثكِ الإثنوغرافي على الإنترنت ؟

هايلي: ليس كثيرًا . لكن هذا ما يقوم عليه المجتمع على أي حال . جميع الأشخاص الذين يتحدثون مع بعضهم البعض يمرون بالتجربة نفسها . **إنهم ليسوا بجوار الأشخاص الآخرين الذين يتحدثون إليهم . ربما يكونون من الجانب الآخر من العالم . هذه هي طبيعة المجتمعات الإلكترونية**.

"إذن، كانت ملاحظتك التشاركية بمثابة كسر الجمود."

صُدم إيان قليلًا من مدى قوة مشاعر بعضنا تجاه بحثنا . لكن القراءة التي قدمها لنا أشارت إلى أن الملاحظة التشاركية تتضمن بناء علاقات ثقة مع الغرباء ، ومحاولة فهم القضية المدروسة من وجهات نظرهم ، وأحيانًا اكتشاف أمور خاصة جدًا عن حياتهم ، والتعاطف معهم ، ونقل هذا الفهم المتعاطف للآخرين . لذلك كان من المحتم أن نشعر بالأشياء شخصيًا . بالنسبة لنا ، هذه هي "الحياة الواقعية" . لكن بحثنا كان إثنوغرافيًا . كانت الملاحظة بالمشاركة إحدى الطرق التي استخدمناها . لم تكن مسؤولة عن كل شيء . لم يستخدمها أيٌّ منا بمفرده.

هانا : أعتقد أن كون الملاحظة بالمشاركة جزءًا من عملية بحث إثنوغرافي أمرٌ بالغ الأهمية . لهذا السبب اخترتها في المقام الأول . لم أستطع ببساطة دخول مدرسة والتحدث إلى مجموعة من الأطفال لأنهم سيفكرون : "من أنت ؟ أنت معلم" . لذا ، فإن ممارسة الملاحظة بالمشاركة كمساعدة صف دراسي أتاحت لي التعرف عليهم ، وتعرفهم عليّ ، وجعلتهم يشعرون بالراحة في التحدث معي ، وجعلني أشعر براحة أكبر في

التحدث مع الأطفال ، فقد مرت سنوات منذ أن كنت في سنهم ، ولم أكن أعرف كيف يتعاملون مع الأشياء . لقد كان جزءًا أساسيًا من تصميم البحث ، ولكنه كان أيضًا مجرد خطوة نحو مقابلاتي .

إيان : إذًا ، كانت ملاحظتك بالمشاركة بمثابة كسر جليد . هانا : أجل .

كريستينا: فعلتُ الشيء نفسه. لو دخلتُ المصنع دون أن أكون جزءًا من القوى العاملة وقلتُ للمهاجرين : "هل يمكنني المرور على منزلكم من فضلكم للتحدث عن سبب وجودكم في إنجلترا ؟"، لكانوا سيشكّون بي . كانوا هناك بشكل قانوني ، لكنهم ما زالوا قلقين من أن يطردهم أحدهم . لذلك حصلتُ على وظيفتي ، وعملتُ جنبًا إلى جنب مع الجميع ، وانتظرتُ حتى أتعرّف عليهم . حينها استطعتُ إخبارهم بما أفعله ولماذا ، ومحاولة إقناعهم بأنني لا أحاول التطفل على حياتهم . أردتُ فقط الوصول إلى شيء لم أظن أنه قد تم فعله من قبل .

لم يفهموا ما هي الأطروحة . لذلك قلتُ إنني أكتب كتابًا ضخمًا أو أقوم بهذا المشروع المدرسي الصغير . كانت هناك العديد من المشاكل مع قادة الفرق ، والإدارة أيضًا ، بسبب عنصريتهم المفرطة تجاه القوى العاملة . وهذا أمرٌ ما كانوا ليخبروني به لولا ذلك . كان علينا أن نجري محادثاتٍ خارج العمل لأنهم كانوا قلقين للغاية من أن يقولوا شيئًا ثم يُطردوا . لذا ، عليك بناء علاقات من الثقة. ولا أعتقد أنني كنت لأتمكن من فعل ذلك لولا البدء بالملاحظة التشاركية .

هايلي: بالنسبة لي ، كان الأمر مختلفًا . بدأتُ بالملاحظة ، ثم شاركتُ في مناقشات فيلم الرعب الخاص بي عبر الإنترنت . بدأتُ بتصفح العديد من المواضيع محاولًا انتقاء أمور ذات صلة بالنسخة الجديدة . لذا ، لم تكن دراسة ملاحظة مشاركة كاملة . ولكن كان من الممكن أن تكون كذلك . إيان: ولكنك كنتَ بحاجة إلى هذه الملاحظة..؟ هايلي: ... للحصول على ما أردتُه لأكون قادرًا على طرح الأسئلة .

"أنا لا أعرض الأمر كما يقولون، ولكن لا بأس."

بدا أننا قضينا الأيام والأسابيع القليلة الأولى من بحثنا بالملاحظة التشاركية في ملاحظة مدى جهلنا ، ومدى خطأ توقعاتنا أو تأخرها ، ووصول نتائج البحث إلينا خارج نطاق مجالنا المخطط له . لم يكن هذا مفاجئًا . أخبرنا إيان أن البحث يُجرى دائمًا في "مجال موسع" . وعليك أن تكون مرنًا . غالبًا ما تشعر بأن بحثك ينهار . هذا أمرٌ مُخيف . لكن القليل من التجارب ، واستخدام ملاحظات الطبقات الخمس لمحاولة تتبع التغييرات واستعادة التركيز أو تغييره ، يُمكن أن يُساعدك على النجاح (ينظر، على سبيل المثال، كرانج وكوك 2007، وكوك 2001).

كريستينا: إذا قرأتِ جميع الكتب التي تُعلّمكِ "كيفية إجراء الملاحظة بالمشاركة" ، فإنها ستمنحكِ الثقة في كيفية القيام بذلك . خلال بحثي ، كان لديّ كتاب واحد ، وسأرجع إليه . كنت أسأل نفسي : "هل ما أفعله أكاديمي ؟ هل هذه هي الطريقة التي يُفترض بي اتباعها ؟" كانت العودة إلى ذلك الكتاب بين الحين والآخر تمنحني الدفعة التي أحتاجها . كنت أقول لنفسي : "نعم ، في الواقع ، أنتِ تقومين بذلك بشكل صحيح. " أو : "حسنًا . لقد حدث شيء لم أكن أتوقعه . لكن لا بأس ، فهذا الكتاب يقول إنه قد يحدث".

هيلين: هذا جزء كبير من هذا النوع من البحث . عليكِ إعادة مناقشة وجهة نظركِ وسبب القيام بذلك.

كريستينا : عليكِ الاستمرار . كتاب مناهج البحث ، وربما مقترح بحثكِ ، يمكن أن يمنحكِ الثقة لمواصلة البحث ، والشعور بأن بحثكِ سيصل إلى شيء مثير للاهتمام في النهاية. ديبي: أنتِ بحاجة إلى إطار عمل أساسي تتبعينه.

كريستينا : لكن لكل شخص إطاره الخاص . أليس : إذًا ، عليكِ تكييف الأمر . كتابة "كيف" تُعطيكِ إطارًا. حاولتُ كتابة هذه الطبقات الست بشكل منفصل ، لكنكِ لم تستطيعي فعل ذلك . ببساطة ، لا يُمكنكِ

ترتيب ورقتكِ بهذا الشكل المُرتب . كريستينا : يعتمد الكثير على ما يُمكنكِ فعله في مكان عملك . كنتُ أعمل في مصنع أغذية . لم أستطع حمل ورقة معي . لم أستطع أن أقول كل خمس دقائق : "هل يُمكنني الذهاب إلى الحمام لأُدوّن ما قلتِه سرًا ؟" لذلك كان عليّ تدوين الأمور في أوقات الاستراحة ، وأوقات الغداء . وفي كثير من الأحيان، لم أكن أستخدم دفتر ملاحظات لأنني لم أكن أتذكر إحضاره دائمًا . لذلك ، كنتُ أكتب على منديل أجده في المطبخ . حتى عندما لم أكن في العمل ، كنتُ أرى زملائي في العمل . كنا نذهب إلى نفس الحانة . وأحيانًا ، كان أحدهم يقول شيئًا ما ، فأفكر في نفسي فورًا : "أوه ! هذا سيُدرج في الأطروحة" . فأكتب ما لديّ على بساط البيرة .

ديبي: كتبتُ رسالة على هاتفي وحفظتها ، متظاهرًا أنني أُراسل أحدهم . لكن في الحقيقة ، كنتُ أكتب بالضبط ما قاله . ثم أعدتُ الهاتف إلى جيبي! كريستينا : والنقطة هي أنك لن تجد أيًا من هذه النصائح "الميدانية" في الكتب المدرسية . لا يُخبرونك ما إذا كان مسموحًا لك القيام بالأشياء بهذه الطريقة . عليك أن تقول لنفسك : "أنا لا أشرح الأمر كما يقولون ، ولكن لا بأس لأنني أحقق نفس النتيجة . عليّ فقط تكييف هذه النصائح مع وضعي".

إيان: إذًا أنتِ تقولين إنه في بداية ملاحظتكِ المشاركة ، يجب أن تكوني طالبة حسنة السلوك و"جيدة" . ثم ، بعد فترة ، تقولين: "يا إلهي . لستُ بحاجة إلى فعل ذلك بعد الآن ". أليس: أجل! كريستينا: أحيانًا كنت أفكر: "لا ينبغي لي أن أفعل هذا . " لكنني لم أستطع أن أرى أي طريقة أخرى . لذا فكرتُ أنه من الأفضل المضي قدمًا لأن... ديبي: ...تعرف ما هو المطلوب، أليس كذلك؟

"وتبدأ بربط هذه التفاصيل الصغيرة جدًا"...

لم نشعر دائمًا بهذه الثقة . غالبًا ما استغرق الأمر وقتًا طويلًا للوصول إلى النقطة التي نشعر فيها أننا نكتشف شيئًا ما ، ونُنشئ بيانات يمكننا استخدامها بالفعل . إن المنهجية التي تعتمد ، على الأقل في البداية ، على تدوين كل ما يحدث تقريبًا وكل ما تفكر فيه لن تمنحك شعورًا بالإنجاز فورًا . لكن هذا الشعور يأتي في النهاية... إذا واصلت المحاولة (يصف بينيت وشورمر-سميث (2001) هذه المعضلة وكيفية تجاوزها).

هانا: عندما وصلتُ إلى مجال بحثي ، لم أجد أطفالًا بدناء أو "سمينين" أو أشخاصًا يتبعون نظامًا غذائيًا سيئًا . فكرتُ : "أين أطفالي المراهقون البدناء ؟! أحتاجهم لبحثي !". شعرتُ بالذعر وفكرتُ في ضرورة تغيير بحثي جذريًا . لكنني تمسكتُ بالمنهجية ، و قادني هذا إلى وجهة نظر مختلفة تمامًا . كنتُ قد خططتُ لجعل الأطفال يكتبون مذكرات طعام ، ثم التحدث معهم عنها ، والذهاب إلى منازلهم ، ومراقبتهم في أوقات الغداء . أردتُ أن أرى مدى دقة تدوينهم لما يأكلونه ، وأين ، ومع من . دفعني الالتزام بذلك إلى التركيز على النظام الغذائي وما يأكله الأطفال بشكل عام ، والأماكن المختلفة والأشخاص المؤثرين في ذلك . استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا لأرى أن شيئًا مختلفًا سيظهر.

أليس: قصتي مشابهة . تدخل على أمل التوصل إلى هذه النتيجة الكبيرة خلال الأسبوع الأول ، لكنها لا تكون موجودة على الإطلاق . وتفكر : "يا إلهي ! هذا سيحدث خطأ" . لكنه ليس كذلك . إنها الحياة الواقعية ، والأمور تسير ببطء . أحيانًا تشعر أنك لا تتقدم إلى أي مكان . لكنك تستمر في تدوين هذه الأشياء التي تبدو غير ذات صلة . ثم ، أحيانًا كل أسبوع ، يظهر الشيء نفسه ، أو يظهر في منطقة مختلفة أو مساحة مختلفة أو بطريقة مختلفة . وتبدأ في تجميع كل هذه الأشياء الصغيرة جدًا التي قد تحدث في ثانية واحدة ، وتبدأ في تشكيل شخصية الشخص أو ما هو عليه ، وتبدأ الأمور في أن تبدو أكثر منطقية . أحيانًا ، يتطلب الأمر مجرد قول أو فعل شخص ما.

كانت هناك فتاة سكبت طلاءً على سترتها ، فانهارت تمامًا . لم ترغب في ارتداء قميص التربية البدنية لأنها ستبدو مختلفة عن أي شخص آخر . لكن ، لو لم أكن هناك لأرى ذلك ، لما عرفتُ كيف كان سيكون رد فعلها آنذاك . أعتقد **أن روتين الملاحظة بالمشاركة هو المهم** . أنت تُكمل العمل ببطء وتعتقد أنك لا تصل إلى شيء . لكن في النهاية ، يتضح كل شيء بطريقة ما . وتكتشف الأمور بعد الانتهاء أيضًا ، خاصةً عندما تُجزّئ الأشياء وتُبرمج .

هانا: أفهم ما تقصده . كان الاستنتاج الرئيسي لأطروحتي شيئًا لم ألاحظه أثناء إعدادها . ولكن ، إذا أجريتَ تحليلك بشكل صحيح ، يمكنك رؤية أنماط تظهر في كل تلك الملاحظات والنسخ اللعينة ! أردتُ أن يظنوا أنني لستُ غريبًا . لم نكن، بالطبع، مجرد مراقبين نبحث عن بقع الطلاء والأنماط . ساهم وجودنا على هذه "المسارح" والطرق التي "نتصرف" بها مع أشخاص مختلفين في خلق "الدراما" التي كتبنا عنها . أثرت آراء الناس عنا على الأماكن التي سُمح لنا بالذهاب إليها ، ومع من ، وما يُعرض علينا ، وما يُقال لنا . حاولنا أحيانًا التأثير على ذلك من خلال تغيير طريقة لباسنا أو حديثنا . ولكن كانت هناك بعض الأمور - مثل جنسنا وعمرنا ولون بشرتنا - التي لم تكن سهلة التغيير. لم تكن هوياتنا كباحثين منفصلة عن بياناتنا . لقد أحدثنا فرقًا، وكان علينا التفكير في ذلك مليًا.

ديبي: كان هناك مجموعتان من الأشخاص في المكان الذي عملت فيه : المديرون والمدققون . كان المديرون من النخبة ، ولم يرافقوا فرق التدقيق . كان من الصعب جدًا إجراء مقابلات معهم . لذا حاولتُ التفاعل معهم بقولي [بصوتٍ عالٍ]: "مرحبًا ، أنا مُدقّق حسابات بريء ، وأودّ معرفة ما يحدث" . وبدا أن ذلك ينجح . بدأوا يُفكّرون : "أوه، أعرف ، يُمكنني تثقيف هذه الفتاة . يُمكنني إخبارها بكل ما أعرفه . أوه ! قانون ساربينز أوكسلي . إنه مُذهل ، يفعل هذا، وهذا ، وهذا". لكنني لم أستطع أن أقول لمُدقّق حسابات: "ثقّفني" ، لأنهم لم يُبالوا . كانوا في مستواي . كنا نذهب لشرب مشروب ، فيقولون : "لا أُصدّق أنك تُجري بحثك حول هذا . إنه أكثر تشريع مُملّ على الإطلاق" . استغرق الأمر زاويةً مُختلفةً تمامًا لفهم وجهة نظرهم . لذا ، كان الأمر مُتقلّبًا للغاية . قضيتُ وقتًا طويلًا في اكتشاف كيف أكون ، وتطوير "شخصيتي" ، بالإضافة إلى البحث . كان عليّ فقط أن أواكب التيار . عليك أن تكون متكيفًا إلى حد كبير، وأن تستخدم المنطق السليم.

هانا: عندما تحدثتُ إلى أولياء أمور الأطفال الذين عملت معهم ، أردتُ أن أترك انطباعًا جيدًا . أردتُ أن يعتقدوا أنني لستُ غريبة الأطوار . كنتُ مجرد طالبة تُعِدّ أطروحتي . وقد درستُ في المدرسة التي كان أطفالهم يدرسون فيها . لذلك شعرتُ أن لديّ سمعة طيبة أحافظ عليها . أما مع الأطفال ، فقد أردتُ أن أكون مرتاحة وعفوية معهم حتى لا يعاملوني بنفس الطريقة التي يعاملون بها المعلمين والبالغين . كان الكثير منهم ينادونني "آنسة" . وكنتُ أقول دائمًا : "لا ، لا ، لا . نادوني هانا. لا بأس" . لكنني كنتُ أتخيل تفكيرهم : "أوه [أي لستُ متأكدة] ، نحن في المدرسة ، ولا يجب أن تفعلي ذلك" .

هيلين: في كمبوديا ، كنتُ أُعامل كفتاة غربية بيضاء البشرة غنية . كان الناس يعتقدون أنني صغيرة جدًا على السفر بمفردي . كانوا يقولون : "هل والداكِ موافقان على مجيئكِ إلى هنا ؟ هل أنتِ من عائلة جيدة ؟" عندما زرنا مجمعًا سكنيًا يسكنه بعض عمال المصنع ، جذب المجمع سكان القرية بأكملها تقريبًا . وكانت هناك سيدة سألت : "هل يمكنني العودة إلى إنجلترا معكِ ؟ هل يمكنني أن أكون خادمتكِ ؟" فقلتُ : "يا إلهي ! ليس لدينا خدم . أغسل ملابسي بنفسي . أنظف منزلي بنفسي" . ولم تستطع فهم الأمر على الإطلاق . كان الأمر غريبًا للغاية .

هايلي: الأمر مختلف تمامًا على الإنترنت ! يمكنك أن تكون من تشاء . لا تعرف أبدًا إن كان أحدهم يقول الحقيقة ، لأنك لا تراه ، ولا تنظر في عينيه . ولأن لديك وقتًا للتفكير فيما تقوله ، يمكنك التخطيط لإجاباتك مسبقًا .

"أنت لست محايدًا على الإطلاق، في داخلك."

يتصرف معظمنا بشكل مختلف مع الأشخاص المختلفين في "الحياة الواقعية" . قد نكون بارعين جدًا في ذلك . لكن ، كباحث ، لا تريد أن يكون هذا الاختلاف مثيرًا للجدل . إذا كنت تحاول تقدير معنى عيش حياة الآخرين ، فأنت لا تريد تعريض... هذا عن طريق تصحيحهم أو الاختلاف معهم ، أو كسر ثقتهم . قد يسبب لهم ذلك إحراجًا أو ضررًا - وهذا بالنسبة لمعظمهم "غير أخلاقي" - ويدمر بحثك . لذلك ، عليك عادةً أن تتفق مع الجميع ، [تقريبًا] بغض النظر عما يقولونه . من الصعب التعامل مع هذا ، خاصةً عندما يُغيرك بحثك .

كريستينا: عندما قابلت العمال البريطانيين في المصنع، كان بعضهم عنصريًا للغاية تجاه المهاجرين ، وكان رد فعلي الأول [شهيق حاد] ، "لا يمكنك قول ذلك !" كنت أشعر برغبة في الدفاع عن المهاجرين والعلاقات التي بنيتها معهم. أليس: من الصعب أحيانًا وضع أخلاقك جانبًا . كان هناك وقت كنت أفكر فيه "ربما يمكنني إخبار هؤلاء الآباء بما أفكر فيه عنهم" . لكنك لا تستطيع . لا يمكنكِ أن تشي بأهلكِ ، أو العكس ، لمجرد أنكِ قلتِ إنكِ لن تفعلي ذلك . ولكن ، لو كنتُ أتسوّق مع الفتيات وقالوا : "أوه لا ، أبدو سمينة بهذا" ، لوددتُ أن أقول : "لا، لن تفعلي" . وقد فعلتُ ذلك لأنني أصبحتُ صديقتهن . يمكن أن ترتبط هذه المشاكل مباشرةً بطفولتكِ أو بالطريقة التي كنتِ تشعرين بها تجاه نفسكِ في ذلك العمر أو بالطريقة التي كان أصدقاؤكِ يقولون لكِ بها أشياء . وتشعرين، بهذه الطريقة السخيفة، أنكِ تريدين إحداث فرقٍ معهن وتقولين : "لا تقلقي بشأن هذا الأمر . إنه غير ذي صلة على الإطلاق" . لكنكِ لا تستطيعين.

هانا: كان عليّ أن أتوقف عن إصدار الأحكام . عندما يقول أحد الوالدين : "لا أقدم لهم حلويات سيئة . لكننا نذهب إلى ماكدونالدز في المناسبات الخاصة" ، كنت أفكر : "يا إلهي ، هذا يُمثل تقديم حلويات للأطفال ، إنها طعام سيء . سيربطون الطعام السيئ بالأشياء الجيدة ، وبالمكافأة" . لكن لا يمكنك قول ذلك . كان عليّ أن أكون محايدًا تمامًا في كل شيء . أليس: لكنك لست محايدًا على الإطلاق في داخلك . إيان: إذًا، أحيانًا تقول شيئًا بصوت عالٍ ، وفي رأسك تصرخ بشيء آخر؟ هيلين: أجل . لكن أحيانًا لم أستطع كبت ذلك . كنت على وشك البكاء لدرجة أن الأمر كان واضحًا للجميع هناك . كان هناك رجل يعيش في منزل صغير مع زوجته وابنته . كانت زوجته تعمل أيضًا في مصنع ملابس . مرّ بي وأراد استجوابي بشأن ما اكتشفته . مثل: "كم يتقاضى الناس هنا ؟" بذلتُ قصارى جهدي للإجابة عن أسئلته . تحدثنا من خلال مترجم واستخدمنا لغة إنجليزية بسيطة جدًا .

بدأ يحكي لي عن عمله في قسم الكي في مصنعه ، وكيف كان عليه أحيانًا العمل من السابعة صباحًا حتى الثالثة ظهر اليوم التالي . أخبرني أنهم يحصلون على كيس أرز صغير يكفيهم طوال الليل . ثم قال إنه كان أحيانًا يكون متعبًا جدًا لدرجة أنه كان يكوي يده . وكان يبتسم عندما قال ذلك . كانت ابنته تركض في الخارج . كانت تحدق بي أنا وصديقتي . كانت مفتونة بنا للغاية . ثم أخبرني أنه لا يستطيع تحمل تكاليف إرسالها إلى المدرسة . كان الأمر حقيقيًا جدًا . كان الهدف الأولي من بحثي هو تحديد الأشخاص في كمبوديا الذين صنعوا قميصي . لكن اتضح أنني كنت أتعاطف معهم أكثر. اتضح أن هذا موضوعٌ رئيسي في أطروحتي.

أليس: لكن هذا يُعيدنا مباشرةً إلى "لماذا نلجأ إلى الملاحظة بالمشاركة ؟" لو قرأتُ ذلك ، لشعرتُ بنفس السوء الذي أشعر به الآن . ما كان بإمكانكِ فعل ذلك باستطلاع رأي أو استبيان . عليكِ أن تكوني هناك ، وترين ذلك الرجل وترين ابنته . "لا يمكنكِ الاختباء وراء كلماتٍ أنيقة ، أليس كذلك ؟" أردنا كتابة بحثنا الإثنوغرافي ليكون له نفس التأثير الذي كان لتلك الأطروحات علينا قبل عام . لكننا اعتدنا على الكتابة بضمير الغائب فقط . هذا جعل الأمور معقدة مرة أخرى، لأن أول طبقتين فقط من ملاحظاتنا كانتا هكذا . أما البقية فكانت شخصية للغاية . لذلك طلب منا إيان الكتابة بضمير المتكلم . **وضح وجهات نظرك وحاول نقلها ومقارنتها مع وجهات نظر من أجريت معهم البحث** . **اجعل كتابتك حيوية ، أكاديمية ، وواقعية**. اكتب بطريقة تجعل قرائك يقعون في مكانك . ساعدهم على رؤية والشعور بما رأيته وشعرت به . لقد استغرق ذلك بعض الجهد .

كريستينا: كتبت في أطروحتي أنني أريدها أن تكون في متناول الجغرافيين ، وغير الجغرافيين ، والمهاجرين، وغيرهم من العاملين في المصنع . أردت أن يتمكنوا من التقاطها وقراءتها . لن يفهموا تمامًا مراجعة الأدبيات والمنهجية . لكن الجزء الأكبر منها ، التحليل بالتأكيد ، هو حديثي عن تجاربي في ذلك المصنع . كل شيء في صوتي أو في أصواتهم . حتى يتمكنوا من فهم ما يدور ويتبعوه . قرأت أمي النص وقالت لي : "أنا أفهم تمامًا وجهة نظرك . ويمكنني أن أضع نفسي مكانهم . يمكنني أن أضع نفسي مكانك". إيان: هل يعني هذا أنه ليس بذكاء تلك الأشياء الأخرى ؟ قد يقول أحدهم : "إنه مجرد وصف ، وليس أكاديميًا ". كريستينا: إنه كذلك! لا توجد طريقة أخرى للوصول إلى ما تريد الوصول إليه. فكيف لا يكون أكاديميًا ؟ هايلي: ولكن الأمر يتعلق أيضًا بربط تجاربك الحياتية بالأفكار الأكاديمية . يمكنكِ إظهار فهمكِ لها بشكل أفضل عندما تربطينها بحياتكِ الخاصة . ديبي: أعتقد أن بعض الناس سيجدون ذلك صعبًا للغاية.

هيلين: في البداية ، الأمر صعب . كريستينا : أعتقد أن عليكِ التغلب على نوع من العوائق الذهنية. أليس : الأمر يتعلق بالشعور بالراحة في وضع ما هو موجود في "العالم الحقيقي" ، هناك في ملاحظاتكِ ثم في أطروحتكِ . طوال فترة الدراسة ، وفي الجامعة إلى حد ما ، لا يُسمح لكِ بإبداء رأيكِ كما لو كان صحيحًا . كان عليكِ إبداء رأي جو بلوغز أو أي أكاديمي آخر . لقد كتبوا بطريقة يصعب فهمها . وأنتِ كتبتِ بهذه الطريقة أيضًا . عندما تُجرين الملاحظة بالمشاركة ، عليكِ شرح شكل الفصل الدراسي لأنكِ تعلمين أنه مهم . ولكن ، في أعماقكِ ، لديكِ هذا الشخص الذي يقول : "ماذا تفعلين ؟ هذا سخيف . لستُ بحاجة لمعرفة هذا .

ديبي: لهذا السبب ، عندما كتبتُ مسودتي ، اعتقدتُ أن مادة المقابلة الخاصة بي كانت أكثر متانة . لقد أخبروني بذلك بالفعل . لكنني لم أستخدم ملاحظاتي التشاركية . فكرتُ فقط : "أنا فقط جالسة في القطار أكتب كل ما حدث خلال يومي . هذا غير ذي صلة" . أليس: لم يقل أحد من قبل إن تدوينك لشيء ما يُعد دليلاً أو "بيانات" . لكنك تُدرك أن هذا بنفس الأهمية . إنها الطريقة التي رأيتِ بها الأمر . لهذا السبب كنتِ أنتِ من يقوم بالبحث وليس غيركِ . لكنكِ لا تُدركين ذلك إلا بعد أن تقرأين أكثر قليلاً ويقول مشرفكِ إنه لا بأس بالكتابة بهذه الطريقة . ديبي: لكن الأمر صعب لأنكِ تعتقدين أنه سيبدو سيئًا.

هيلين: لكن عندما تتعمقين فيه ، يصبح الأمر سهلًا للغاية . لأنه مجرد حديثكِ وتدوينكِ للأمور. أليس: بعد أن تكتبها ، تفكر: "أوه ، أستطيع فعل هذا" . أستطيع قراءتها وتبدو جيدة . حتى من لا يدرس الجغرافيا يستطيع قراءتها وفهمها . هيلين: ويستمتع بها أيضًا . أليس: وتقول لنفسك : "رائع ! استمر في الكتابة هكذا" . إيان: لكن هل جعلتك هذه الكتابة تشعر بالانكشاف ؟ أليس: نعم . بالتأكيد . لأنها أنتِ [تضحك]. ديبي: لا يمكنكِ الاختباء وراء كلماتٍ منمقة ، أليس كذلك ؟ أليس: أنتِ لا تختبئين وراء جو بلوغز . أنتِ تقولين "أنا"

ديبي: عليكِ التحلي بالشجاعة لإبداء آرائكِ الخاصة ، وربطها بتجاربكِ الخاصة وما قرأتِه . من الصعب تجاوز هذا الحاجز . ولكن بمجرد أن تصلي إلى هناك ، تصبح الكتابة أفضل بكثير . إيان: لكن قد يقول البعض إن الكتابة "متحيزة" . ديبي: أجل . لكن لا يمكنكِ تقديم رأي عام يتفق عليه الجميع . أليس: ويمكن لأي شخص أن يجادلنا ، إن أراد . إنها آراؤنا . لذلك لا تقولي : "هذا صحيح" . بل تقولي : "هذا ما وجدته"! . كريستينا: "أنا أُدرك تمامًا أن هذا تفسيري". تقبلتُ ذلك وكنتُ صريحةً بشأنه .

هيلين: كان رأيي "متحيزًا" تمامًا . ولكن ، آمل أن يفهم القائمون على التصحيح هذا "التحيز" لأنني كنت هناك ، أختبر تلك الأمور . ما قلته كان مدعومًا بكل ما رأيته . لهذا السبب أعتقد ما أعتقده . إنها معرفة موضوعية . ليس عليك أن تُعجب بها. اقرأها فقط (الملحق 13.1). "قد يشعرون بالإهانة الشديدة إذا قرأوا أطروحتي" .

كانت هذه نهاية نقاشنا ، ويبدو أن إيان لم يُرِد أن يُغادرنا دون سؤال أخير . قال إن "بعض الناس" يعتقدون أن الدخول في علاقات ثقة مع الناس من أجل الكتابة عنهم لمجرد أن ذلك مفيد لشهادتهم هو أمر "غير أخلاقي" واستغلالي بعض الشيء . إنه نوع من الخيانة المتعمدة (ستايسي 1988) . هناك علاقات قوة مشبوهة هنا . تبدو الملاحظة بالمشاركة واضحة جدًا عندما تصادفها لأول مر ة. إنه كذلك . لكنه حقل ألغام ، عندما تتعمق فيه حقًا . توقع منا الرجوع إلى المبادئ التوجيهية الأخلاقية القياسية (وكان يتوقع منا الرجوع إلى إجراءات مجلس المراجعة المؤسسية لو كانت لدينا في ذلك الوقت (ينظر مارشال ٢٠٠٣، بلاتنر ٢٠٠٣)) ثم نتعثر قليلًا . لكننا فكرنا كثيرًا في هذا الأمر.

ديبي: إذا كان المشاركون لديك يعرفون ما تفعله ، فمن المؤكد أن هذا "أخلاقي ؟" أليس : أليس من "غير الأخلاقي" أن نُظهر شخصًا ما كإحصائية ، على مخطط أو رسم بياني ، ولا نسمح لصوته أو رأيه بالظهور في العمل الأكاديمي "حول" حياته ؟ كريستينا: هذا أسوأ من ذلك . ربما لم يكن المهاجرون الذين أعمل معهم وعمال مصنع هيلين للملابس ليسألهم أشخاص مثلنا عن حياتهم من قبل . وبمعنى ما ، فإن كونهم موضوعًا للبحث منحهم فرصة للتحدث عن أوضاعهم والتحدث عما يحدث بالفعل . إنهم ليسوا أشخاصًا كبارًا لم يلتقوا بهم من قبل يقولون للجميع : "هذا هو وضعهم" . إنه شخص صغير مثلي يقول: "حسنًا، سأسمع هذا الصوت ، ويمكنك أنت سماع هذا الصوت".

أليس هذا أكثر "أخلاقية" ؟ ديبي : لكنني كنتُ أُعطي المدراء صوتًا لم يكونوا ليرغبون في أن أُعطيهم إياه . كانوا يعرفون ما أفعله ، لكنهم لم يكونوا على دراية بما اكتشفته . قد يشعرون بالإهانة الشديدة إذا قرأوا أطروحتي . كانت مهمتهم هي جعل قانون ساربينز أوكسلي يبدو جديرًا بالاهتمام . وكثير من الناس يقولون إنه غير جدير بالاهتمام ، بمن فيهم مُدققو حساباتهم . إيان : إذًا ، انتهى بك الأمر إلى التلاعب بالناس ووجهات النظر عندما كتبتِ هذا . ديبي: أجل [تضحك بعصبية]. وهذا على الأرجح "غير أخلاقي" . ولكن كيف لي أن أفعل ذلك بطريقة أخرى ؟ كنتُ أرغب في الحصول على رؤية شاملة للمنظمة وقانون ساربينز أوكسلي . تقديم تقرير من جانب واحد كان سيُعد بحثًا سيئًا.

هايلي : ولم تذكري أسماءهم في أطروحتكِ ، أليس كذلك ؟ ديبي: لا، كان كل شيء مجهول الهوية. كريستينا: ولم تُشوّهي صورتهم . من المؤكد أن تصوير شيء غير موجود هو أكثر "لا أخلاقية" . أليس: أجل، ولكن يجب حذف بعض الأمور المهمة في حجتكِ . عندما كنتُ أكتب أطروحتي ، لم أُدرج الطريقة التي أردتُ بها توجيه انتقادات حادة للوالدين . لم أعتقد أنه من حقي أن أُسبب خلافًا كبيرًا بين الأم وابنتها ، مما سيُدمر حياتهما ! لم أعتقد أن ذلك كان عادلًا.

الخاتمة

نأمل أن يكون هذا الفصل قد منحكم تقديرًا لرحلتنا في أبحاث الملاحظة بالمشاركة ، وأن تتمكنوا من فهم ما نعنيه عندما نقول إنه يشبه "الحياة الواقعية" ويتعلق بها . نأمل أن يشجع هذا بعضكم على تجربته بأنفسكم . إذا كان الأمر كذلك ، فقد قدمنا قائمة بموارد إضافية أدناه ، ونقترح عليكم الاطلاع عليها لاحقًا . هذه هي بشكل رئيسي فصول مراجعة الأدبيات بالإضافة إلى الرسوم التوضيحية التي ذكرناها في البداية . تحتوي على نوع من المناقشات الأكاديمية المفصلة "بين السطور" في هذا الفصل . يحتوي كل فصل على سرد لأبحاث الملاحظة بالمشاركة ، بالإضافة إلى أساليب أخرى يمكن دمجها في دراسة إثنوغرافية . كما تحتوي على نقاشات نظرية ومناقشات حول المعرفة الموضعية ، وأخلاقيات البحث (بما في ذلك مسائل البحث العلني أو السري ، وعدم الكشف عن هوية المشاركين وعدم حيادهم)، وتحليل البيانات/ترميزها وكتابتها ، والتي يجب مراعاتها بجدية في أي دراسة من هذا القبيل . إذا أعجبك ما وصفناه في هذا الفصل، فسيتعين عليك الخوض في هذه النقاشات والحوارات قبل إجراء بحثك الخاص بالملاحظة المشاركة . قد ترغب أيضًا في قراءة هذا الفصل مرة أخرى عند بدء بحثك . فقد يمنحك الثقة عندما تحتاجها.

بالتوفيق!

الملحق ١٣,١،

اقرأ هذا فقط!

يُقدم هذا المقطع الموجز من أطروحة هيلين (كلير ٢٠٠٦: ٤٤-٦) لمحةً عن الكتابة المُلهمة التي يحتاج البحث الإثنوغرافي إلى إنتاجها . هنا ، تصف وصولها إلى منطقة تصنيع الملابس في بنوم بنه برفقة صديقتها لويز ومرشدتهما تولا (التي التقت بها من خلال منظمة العمل الكمبودية) للقاء بعض عمال الملابس في المجمع الذي كانوا يعيشون فيه . في وقت مبكر من بعد الظهر، انطلقنا بسرعة على الطريق الوطني رقم 4، والمطر ينهمر بغزارة . إنه يوم ماطر للغاية ، موسم الرياح الموسمية . كنا متكدسين على الدراجة النارية ، مرتدين معاطف المطر . أشار تولا إلى المصانع ، وهي مبانٍ بيضاء ضخمة تشبه المستودعات ، وعادةً ما يكون اسم المصنع مطبوعًا على جانبها ، باللغة الخميرية أو الصينية أو الإنجليزية.

وأشار إلى أشخاص يقودون دراجات نارية يحملون أكوامًا ضخمة من الملابس على ظهورهم . لقد تخلصت المصانع منها ، ويبحث الناس في صناديق القمامة ، ليصنعوا منها سجادات للأبواب ويبيعوها . ما زلت أتوق لمعرفة ما إذا كان الأشخاص الذين سنزورهم ينتجون لمتجر إتش آند إم لا يعتقد تولا ذلك . شعرنا بخيبة أمل كبيرة ، فانعطفنا إلى الطريق المؤدي إلى المجمع . مررنا بالبوابة وترجلنا أمام أحد الأبواب . استقبلت تولا السيدة كصديقة قديمة . خلعنا قبعتنا . العمليات ، واتركوهم في الخارج في الفناء. أصبحت قدماي الآن متسختين جدًا ! عرّفتنا تولا على ساروم ، صاحبة الغرفة ، وفتاة مراهقة أصغر سنًا (ابنة أختها) ، وشابة أخرى تُدعى سريموم.

حيياناهم بالسومبيا، وضممنا أيدينا معًا في وضعية تشبه الصلاة ، وانحنينا قائلين "شيم - ريب - سور" - "مرحبًا" باللغة الخميرية . لا تزيد مساحة كل غرفة في هذا المجمع ، الذي يوجد منه حوالي ثماني غرف حول الفناء ، عن ستة أمتار في أربعة أمتار ، وبها ثلاثة أسرّة على طراز التخييم . إنه صغير ومظلم . لا توجد نوافذ ، وباب مفتوح . كانت الجدران مغطاة بصور من مجلات ، وجدتها لممثلين وممثلات مشهورين. جلسنا متربعين على الأرض . ثم دخل رجل إلى الغرفة – سيثونغ . سألتني تولا إن كان القميص معي . نعم، لديّ . "عرض" "هم" ، قال . أخرجته من حقيبتي. أراد الجميع إلقاء نظرة . مرروه . قال تولا إنهم قد لا يعرفون من ينتجون في كثير من الأحيان . مع ذلك، لا يتعرفون على علامة H & M.

غادر سيثونغ الغرفة وعاد مع ابنته التي تبلغ من العمر عامين تقريبًا . كانت تركض في الفناء وأثارت اهتمامها هاتين الفتاتين البيضاوين بشعرهما الأصفر الغريب ! كان سيثونغ يرتدي قميصًا أيضًا . أشار إلى العلامة . "بيوريتاني". "هل أعرفه ؟ هل يُباع في إنجلترا ؟" سألني إن كان الزبائن في إنجلترا يُجبرون أسعار المنتجات على الانخفاض . حاولت أن أشرح لهم أن الأمر ليس كما هو الحال في كمبوديا . نحن لا نقايض ، لكننا نُجبر الأسعار على الانخفاض من خلال طلب منتجات أرخص.

التمرين ١٣,١

الملاحظة بالمشاركة في التطبيق

كانت أول محاولة لأليس في مجال الملاحظة بالمشاركة هي وصف تجربة حضور محاضرة جغرافية في جامعتها . استخدمت "طبقات الوصف" التي حددها إيان في محاضرته لتقديم نوع التفاصيل الضرورية لتزويد قارئها (أنت؟) بإحساس حيّ "بالتواجد هناك" . إذا كنت ترغب في تجربة هذا النهج ، يمكنك البدء بـ ٣٠ دقيقة فقط من يومك - أي ٣٠ دقيقة - ومحاولة وصفها بوضوح بحيث يمكن لشخص غريب أن يتخيل "تواجده هناك" معك . يمكنك اختيار تجربة عادية أو غير عادية . يمكنك اختيار مكان مألوف أو غير مألوف . يمكنك اختيار القيام بذلك مع أشخاص يعرفونك ، أو مع غرباء ، أو مزيج من الاثنين . يمكنك اختيار وجبة طعام ، أو حفلة ، أو رحلة ، أو لعب أو مشاهدة رياضة ، أو زيارة عائلتك ، أو قراءة كتاب ، أو الانضمام إلى عرض توضيحي ، أو العمل في مكتبة ، أو أي شيء آخر !

أيًا كانت التجربة التي تختارها، ستثير تساؤلات متنوعة حول صعوبات هذا النوع من البحث ومزاياه . دوّن بعض الملاحظات الأولية عند وصولك ، ثم استخدمها لاحقًا لكتابة وصف مفصل . ضع في ذهنك شخصًا قد يقرأ هذا الوصف ، قارئًا لم يكن معك وقد لا يكون على دراية بنوع المكان أو التجربة التي اخترتها . هذا من شأنه أن يشجعك على عدم عد أي شيء أمرًا مسلمًا به، وأن تُنمّي لديك نظرة ثاقبة للتفاصيل.